

الفصل الثاني عشر سَرِيَّةُ زَيْدٍ ثُمَّ أَبِي بَكْرٍ ﷺ إِلَى بَنِي فِرَازَةَ بِوَادِي الْقُرَى

رجب، رمضان ٦٦هـ/نوفمبر (تشرين ثان)، يناير (كانون ثان) ٦٢٧، ٦٢٨ م/هاتور، طوبة

٣٤٤ قبطي

المبحث الأول

عرض سريّة زَيْدٍ ثُمَّ أَبِي بَكْرٍ ﷺ إِلَى بَنِي فِرَازَةَ بِوَادِي الْقُرَى

تمهيد:

اختلف أهل الحديث وأهل المغازي في بعض الأمور حول هذه السرية: في قائدها، وتاريخها، وبعض أحداثها، وكذلك تعدد تسميتها، والخلط بينها في الأحداث وبين أسماء سرايا أربع: سرية زيد بن حارثة ﷺ إلى وادي القرى، وسريته ﷺ إلى أم قرفة بوادي القرى، وسريته ﷺ إلى بني فزازة، وسرية أبي بكر ﷺ إلى بني فزازة بوادي القرى، وقد تعرض لمناقشة الكثير من ذلك د/ بريك في غزوة مؤتة، ومال - بعد المناقشة - إلى أقوال تجمع شتات هذا التعارض والخلط؛ ولذا رأيت أن أعرضها على تسلسل عرضه لها، مع بعض الإضافات والتصرف والاختصار اليسير.

التعريف بوادي القرى:

يقول د/ بريك: «وادي القرى - بضم أوله، وفتح ثانيه، والقصر - جمع قرية، وهو وادٍ بين المدينة والشام، من أعمال المدينة، وهو بين تيماء وخيبر، فيه قرى كثيرة، وبها سُمِّيَ وادي القرى، والنسبة إليه «وادي»، قال أبو المنذر: سُمِّيَ وادي القرى؛ لأنَّ الوادي من أوله إلى آخره قُرَى منظومة.

وقال أبو عبيد الله السكوني: «وادي القرى والحجر والجناب، منازل قضاعة، ثُمَّ جهينة، وعذرة، وبلث، وهي بين الشام والمدينة، يمرُّ بها حاج الشام، وكانت قديمًا منازل ثمود وعاد^(١)، وبها أهلكهم الله، وأثَّرها إلى الآن باقية، ونزلها بعدهم اليهود واستخرجوا كظائمهـا (محابس المياه في الأودية والشعاب)، وأساحوا عيونها، وغرسوا نخلها، فلمَّا نزلت بهم القبائل عقدوا بينهم حلفًا، وكان لهم فيها على اليهود طُعْمَةٌ وأكل في كل عام ومنعوها لهم، ودفعوا عنها قبائلهم»^(٢).

ولمَّا فرغ رسول الله ﷺ من خيبر في سنة سبع، امتدَّ إلى وادي القرى، وفتحها عنوة، ثُمَّ صَوَّلُوا على الجزية.

(١) المعروف أنَّها منازل ثمود، قوم نبي الله صالح عليه السلام، الذين كانوا يسكنون الحجر الذي سُمِّيَ فيها بعد (مدائن صالح)، وذكر عاد هنا وَهُمْ، فالمرحوف أنَّهم كانوا يسكنون الأحقاف في حضرموت، وهي بعيدة جدًا عن هذه المنطقة، والله تعالى أعلم.

(٢) كان من القبائل التي نزلت بهم غطفان: فزازة، وبني مرة، وأشجع، وغيرها.

وكان يسكن الوادي ناس من ولد جعفر بن أبي طالب عليه السلام، وقد غلبوا عليه، ويُعرفون بالواديين.
وقال الشاعر (هو: جميل بن معمر، المعروف بجميل بثينة):

أَلَا كَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْسَنَ لَيْلَةً بِوَادِي الْقُرَى إِنِّي إِذَا لَسَعِيدُ

وَيُعرف وادي القرى اليوم بـ «العُلا» بضم العين ثُمَّ لام وألف من غير همزة، والنسبة إليه «عُلَوِيٌّ»، وهي مدينة عامرة شمال المدينة النبوية على قرابة «٣٥٠» ميلاً، كثيرة المياه والزرع والأهل، ويصُبُّ واديها في وادي الجزل، ثُمَّ يَصْبُ الجزل في وادي الحمض «أضم»، وهي ملاصقة للحجر ديار ثمود، متَّصلة بها اتِّصَالاً تامًّا، لا يفصلُ بينها وبين المدائن حدود ولا جبال.

وسبب تسميتها بـ «العُلا» أنَّها قامت على أنقاض قصبة وادي القرى المُسمَّى «قُرح»، وهو موضع كان بالوادي من صدره، فغلب عليه اسم العُلا؛ لأنه أعلى الوادي، وكانت «قُرح» سوقاً مشهورة من أسواق العرب في الجاهلية، وفيها مسجد قُرح الذي بناه رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك، وهو مسجد العُلا اليوم فيما يتوارث أهلها، وتنقسم العُلا إلى حارتين: الشَّقِيق - بالشين المشددة المكسورة - والحَلَف - بكسر - الحاء وجوَّها جميل، وسكانها خليط من عرب الشمال والحجاز، وبعض أهل القصيم وحائل، وبها محطة لسكة حديد الحجاز المعطَّلة.

وتُعَدُّ العُلا من أكبر محافظات المدينة الزراعية المتطورة، حيث يُزرع بها النخيل، والأترج، والليمون بأنواعه، والفواكه والخضروات، وأكثر صادراتها التمور، وهو أنواع، أجودها البرني، والسكري، وترتبطها بالمدينة النبوية طريق معبدة، ويسكن بعض أهلها المدينة. [ينظر: محمد عبد الحميد مراد: مدائن صالح ٦١-٦٢، ١٥٣، والبلادي: معجم ٢٥، وينظر: مجلة الدارة، العدد الأول، السنة التاسعة ٣٩]. [غزوة مؤتة لبريك ٤٥-٤٧].

تاريخ السرية:

يقول د/ بريك: «تفرَّد الواقدي، وابن سعد من المتقدمين من أهل المغازي بتحديد تاريخ هذه السرية، حيث أرَّخ لها الواقدي برمضان سنة ست من الهجرة. [الواقدي: مغازي ٢/ ٥٦٤].

وكذلك فعل ابن سعد، ولكنه أرَّخ للسرية الأولى برجب سنة ست. [طبقات ٢/ ٨٩، ٩٠].

وقد مرَّ بنا قول ابن سيِّد الناس: كذا ثبت عن ابن سعد، لزيد سريتان بوادي القرى، إحداهما في رجب، والثانية في رمضان. [ابن سيد الناس: عيون ٢/ ١٤٥].

وقد تابعهما في ذلك البلاذري في الأنساب. [البلاذري: أنساب الأشراف ١/ ٣٧٨].

ولم يؤرِّخ لها ابن إسحاق، وإنَّما ذكرها في سياق السرايا والبعوث حيث عدَّد سرايا زيد بن حارثة عليه السلام، وذكر هذه السرية بعد سريته إلى الطرف من ناحية نخل من طريق العراق. [ابن هشام: سيرة ٤/ ٦١٧].

ونقل بعض المتأخرين من أهل المغازي أمثال: ابن سيِّد الناس، والقسطلاني، والمقرئزي، والشامي، تاريخ السرية عن ابن سعد، وشيخه الواقدي. [عيون الأثر لابن سيد الناس ٢/ ١٤٤، وشرح المواهب اللدنية للقسطلاني ١/ ٤٨١، وإمتاع الأسعاع للمقرئزي ١/ ٢٦٩، وسبل الهدى للشامي ٦/ ١٤٨-١٥٧].

ولم يذكر البيهقي [دلائل ٢٩٠ / ٤]، وتبعه في ذلك ابن كثير [البداية والنهاية ٢٢١ / ٤] سرية زيد ابن حارثة رضي الله عنه إلى بني فزارة، وإنما ذكر اسرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إليهم، حيث قال البيهقي: جماع أبواب السرايا التي تذكر بعد فتح خيبر، وقبل عمرة القصية، وإن كان تاريخ بعضها ليس بواضح عند أهل المغازي، ثم بدأ الحديث عن سرية أبي بكر رضي الله عنه. [البيهقي: دلائل ٢٩٠ / ٤].

وكذلك فعل ابن القيم، حيث قال: «وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ مَقْدَمِهِ مِنْ خَيْرٍ إِلَى سُؤَالٍ وَبَعَثَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ السَّرَايَا، فَمِنْهَا: «سَرِيَّةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ إِلَى نَجْدٍ قَبْلَ بَنِي فَزَارَةَ، وَمَعَهُ سَلْمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ ﷺ، فَوَقَعَ فِي سَهْمِهِ جَارِيَةٌ حَسَنَاءٌ، فَاسْتَوْهَبَهَا مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفَادَى بِهَا أَسْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا بِمَكَّةَ». [زاد المعاد ٣ / ٣٥٩].

هذا بالنسبة لأهل السير والمغازي، أمّا ما يُفهم من روايات أهل الحديث فيفهم من قول سلمة رضي الله عنه عندما سأله النبي ﷺ الجارية: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْجَبْتَنِي، وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا» وسكوت رسول الله ﷺ، وتركه الإنكار عليه، دليل على أنهم يستيحبون إذ ذاك وطء الوثنيات، وذلك قبل نزول تحريره بعد الحديبية، ففي ذلك دليل على أن السرية كانت قبل الحديبية.

[ينظر: معالم السنن للخطابي ١٤٦ / ٣، وهذه المسألة خلافية بين الفقهاء].

وكذلك إرسال النبي ﷺ الجارية إلى أهل مكة ليفتدي بها أسيرين من المسلمين كانوا عندهم، دليل آخر على أن السرية كانت قبل الحديبية؛ لأن اتفاقية الحديبية كانت اتفاقية سلام ومعااهدة صلح بين المسلمين ومشركي مكة سوّت الوضع القائم بينهما، وأعتقد أنه كان لا يمكن استثناء الأسرى من الاتفاقية لو وُجدوا، فذلك دليل على أن الأسرى قد سوّوا وضعهم قبل الحديبية حيث لم يرد في بنود المعاهدة أي ذكر عنهم، والله تعالى أعلم. [ينظر: مرويات الحديبية ١٦٦]. [غزوة مؤتة لبريك ٥٩-٦١].

سبب السرية:

يقول أ/ باشميل: «قبيلة فزارة (بفتح أوله وثانيه) تعتبر من أعظم القبائل النجدية وأكثرها عددًا في العهد النبوي، وكان السيد الذي يرجع إليه أمرها هو عيينة بن حصن الفزاري الملقب (بالأحق المطاع)، فقد ذكر المؤرخون أن عشرة آلاف رمح من هذه القبيلة تتحرك (مطبعة) أينما تحرك هذا الأحق.

وكانت بنو فزارة من أشد الناس عداوة للمسلمين وأكثرهم تحرشًا بهم لقرب منازلهم من منطقة المدينة، وكانت بعض فخاذ هذه القبيلة تنزل وادي القرى الواقع بين المدينة وخيبر.

وكان رجال هذه القبيلة الوثنية طالما شنوا اعتداءات متكررة على المسلمين، وكثيرًا ما يستأجرهم اليهود لمحاربة المسلمين.

وقد عرفنا كيف أغار عبد الرحمن بن عيينة بن حصن على المسلمين في الغابة بضواحي المدينة، فاستاق إليهم بعد أن قتل من قتل منهم كما تقدم تفصيله في غزوة الغابة.

ولهذا كان من الطبيعي أن يتحجن المسلمون الفرص لضرب هذه القبيلة وإرهاقها وكسر شوكتها بنقل المعركة إلى ديارها وضربها في منازلها ومسارحها.

لا سيما وأن المسلمين يتهيؤون لحوض معركة فاصلة مع اليهود في خيبر التي تقع منازل هؤلاء الفزاريين بينها وبين المدينة، الأمر الذي يحتم على القيادة العليا في المدينة القيام بعمل عسكري حاسم تكون به خطوط المسلمين في مأمن عندما يقومون بالزحف على مدينة خيبر والذي قاموا به (بالفعل) في أوائل السنة السابعة من الهجرة. [صلح الحديبية لباشمیل ٦١-٦٢].

ويقول د/ بريك: «بالنظر إلى أقوال أهل المغازي في سبب السرية، نجد هنالك قولين: القول الأول: لابن إسحاق، الذي ذكر أن سببها كان سرية بعثها رسول الله ﷺ قبل هذه السرية مباشرة، وبقيادة زيد بن حارثة رضي الله عنه نفسه إلى وادي القرى: «فَلَقِيَ بِهِ بَنِي فِزَارَةَ»^(١)، فَأُصِيبَ بِهَا نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَارْتُثَتْ [وَأَوْفَلَتْ] زَيْدٌ مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَى، فَلَمَّا قَدِمَ زَيْدٌ بَنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه إِلَى [نَذَرَ] أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسُهُ غُسْلٌ مِنْ جَنَابَةٍ حَتَّى يَغْرُوبَ بَنِي فِزَارَةَ».

[ذكره ابن سيد الناس (عيون الأثر ١٤٢/٢) عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر، من الخامسة (تقريب ٢٩٧)، كما ذكره ابن هشام (سيرة ٦١٧/٤) عن ابن إسحاق الذي ساقه بلا سند عنده نحوه].

وأخرج أبو نعيم من طريق مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ مَوْلَى ابْنِ مُحَرَّمَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي فِزَارَةَ يُقَالُ لَهَا «أُمُّ قَرْفَةَ» قَدْ جَهَّزَتْ ثَلَاثِينَ رَاكِبًا مِنْ وَلَدِهَا وَوَلَدِهَا، قَالَتْ: أَقْدَمُوا الْمَدِينَةَ فَاقْتُلُوا مُحَمَّدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ اكْكِلْهَا بِوَلَدِهَا»، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه فَانْتَقَوْا بِالْوَادِي، وَقُتِلَ أَصْحَابُ زَيْدٍ، فَارْتُثَتْ جَرِيحًا وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فَعَاهَدَ اللّٰهُ أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسُهُ مَاءٌ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ، فَبَعَثَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْثًا فَانْتَقَوْا، فَقَتَلَ بَنِي فِزَارَةَ، وَقَتَلَ وَلَدَ أُمِّ قَرْفَةَ، وَقَتَلَ أُمَّ قَرْفَةَ وَبَعَثَ بِدِرْعِهَا (درع المرأة: قميصها. النهاية ١١٤/٢) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَصَبَهُ بَيْنَ رُحَيْنَ، وَأَقْبَلَ زَيْدٌ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ.

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَلَكَ اللَّيْلَةَ فِي بَيْتِي، فَقَرَعَ الْبَابَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ يُحَرِّثُ تَوْبَهُ حَتَّى اعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٢).

(١) بفتح الزاي المعجمة: قبيلة كبيرة مشهورة من غطفان، يُنسبون إلى فزارة بن ذبيان بن بغيض، وكانت مساكنهم بنجد، ووادي القرى. ينظر: ابن قتيبة، المعارف ٨٣، القلقشنلي، قلاند الجمان ١١٣.

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ٥٣٤/١ رقم ٤٦٢، وقال د/ العواجي: وهي رواية ضعيفة لعنينة ابن إسحاق، وقد ذكر هذه الرواية الذهبي في سير أعلام النبلاء ١/ ٢٢٦-٢٢٧ عن ابن إسحاق، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، وفيها عنينة ابن إسحاق، وذكرها ابن إسحاق (ابن هشام ٦١٧/٢) بدون إسناد وبألفاظ مغايرة قليلاً ==

القول الثاني: وقال به الواقدي، وابن سعد، حيث قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: خَرَجَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه فِي تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ، وَمَعَهُ بَضَائِعٌ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَأَخَذَ خُصِيَّتَيْ تَيْسٍ فَدَبَعَهُمَا، ثُمَّ جَعَلَ بَضَائِعَهُمْ فِيهَا، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى إِذَا كَانَ دُونَ وَادِي الْقُرَى، وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، لَقِيَهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ مِنْ بَنِي بَدْرِ ^(١)، فَضَرَبُوهُ وَضَرَبُوا أَصْحَابَهُ حَتَّى ظَنُّوا أَنْ قَدْ قُتِلُوا، وَأَخَذُوا مَا كَانَ مَعَهُ ثُمَّ اسْتَبَلَّ (برأ) زَيْدٌ رضي الله عنه، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَبَعَثَهُ فِي سَرِيَّةٍ إِلَيْهِمْ. [المغازي للواقدي ٢/ ٥٦٤، طبقات ابن سعد ٢/ ٩٠].

هذا وقد جمع ابن سيد الناس بين روايتي ابن إسحاق، وابن سعد وقال: «كذا ثبت عن ابن سعد، لزيد سريتان بوادي القرى، إحداهما في رجب، والثانية في رمضان». [عيون الأثر ٢/ ١٤٥].

وقال الزرقاني معلقاً: «وقد التبس سبب السرية الذي هو السير للتجارة بالسرية نفسها على من زعم أنَّ قول اليعمري، لشيخه الدمياطي، كذا ثبت عند ابن سعد لزيد سريتان بوادي القرى، إحداهما في رجب، والأخرى في رمضان، مشكل لاقتضائه أنه أرسل غازياً في المَرَّتَيْنِ لبني فزارة مع أنه إنما كان في الأولى تاجرًا اجتاز بهم، كما دلَّ عليه كلام ابن سعد، ففيه إطلاق السرية على الطائفة الخارجة للتجارة، ولا يختص ذلك بالخارجة للقتال أو تحسس الأخبار، وهو وهم فكلام ابن سعد كما علمت إنما هو في سبب غزوة زيد لهم في رمضان، مع أنَّ الثلاثة مع كونهم حُفَظًا متقين لم ينفردوا بأنهم سريتان لزيد، بل سبقهم إلى ذلك الواقدي، وابن عائذ، وابن إسحاق، وإن خالفهم في سببها، ولم يذكر تاريخاً».

[شرح المواهب للزرقاني ٢/ ١٦٤].

وقال في مكان آخر محاولاً الجمع بين القولين: «ويجمع بتعدد السبب بأن يكون لما صحَّ (يعني: زيد بن حارثة رضي الله عنه) ذهب للتجارة فنهوه، فرجع وأخبره صلى الله عليه وسلم». [شرح المواهب ٢/ ١٦٤].

== وفيها زيادات بسيرة، وكذلك ذكرها ابن سعد في الطبقات ٢/ ٩٠. مرويات الإمام الزهري للعواجي ٥٤١. وقال د/ بريك: أخرجه أبو نعيم (دلائل ٢/ ٥٣٤) والمحامي (الأمالي ١٨٣ رقم: ١٥٧)، كلاهما من حديث إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عباد بن هانئ الشجري عن أبيه عن ابن إسحاق، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها. قلت: سنده فيه إبراهيم بن يحيى الشجري، لين الحديث (تقريب ٩٥)، وأبوه يحيى بن محمد ضعيف كان يتلقن (تقريب ٥٩٦)، وفيه عن عنة ابن إسحاق فسند الحديث ضعيف. وذكر الحلبي (سيرة ٢/ ١٨١)، والزرقاني (شرح ٢/ ١٦٤) عن بعضهم أنه خبر منكر. غزوة مؤتة ٤٨.

(١) هم بنو بدر بن عدي بن فزارة، وفيهم كانت رئاسة بني فزارة في الجاهلية، وكانوا - أيضًا - يرأسون جميع غطفان وتدين لهم قيس، وإخوانهم ثعلبة بن عدي، ومنهم حذيفة بن بدر صاحب الفرس المعروفة بالغبراء التي هاجت - بسببها وسبب الفرس داحس - الحرب الشهيرة المعروفة باسميها، ومن بني بدر بنو أم قرفة التي ضرب بها المثل في العزة. المعارف ٨٣، قلاند الجمان ١١٤.

قلت: ذلك يقتضي أنَّ زيد بن حارثة عليه السلام خرج ثلاث مرَّات خلال شهرين، وهو أمر متعذِّر لصعوبة المواصلات في ذلك الوقت، ومشقة السفر خاصَّةً وأنَّه قد ذكر أنَّ زيد قد جرح جراحًا بليغة في المرَّة الأولى حتى اعتقد بنو فِزارة بأنَّه قد مات، وشفَّاه من تلك الجراح يتطلب وقتًا ليس بالقصير، كما أنَّه من المستبعد أن يخرج للتجارة مرَّةً بديار أولئك القوم الذين بدت عداوتهم للمسلمين وخاصَّةً أنَّ زَيْدًا عليه السلام قد غزاهم في المرَّة الأولى، فخروجه لمجرَّد التجارة يُعدُّ مجازفة عظيمة، ما كان للنبي ﷺ أن يوافق عليه أبدًا.

لذلك أرى أنَّه لا يمكن الجمع بين القولين، بل لابدَّ من ترجيح أحدهما على الآخر، وهو في نظري قول ابن إسحاق، فهو بالإضافة إلى كونه أقوى إسنادًا مدعومًا بالواقع، فالمسلمون في تلك الفترة لم يفرضوا سلطانهم على تلك المنطقة بعدُ، حتَّى تصبح طريقًا سالكةً لتجارتهم إلى الشام، بل كانوا في موقف المواجهة مع القبائل القاطنة في تلك المنطقة خاصَّةً وأتَّها حليفة قوية لليهود خيبر الذين كان المسلمون يُعدُّون العُدَّة السريعة لمواجهةهم بعد الحديبية، وتوقيع الهدنة مع قريش، نظرًا لنشاطات زعمائهم المعادية للمسلمين ودورهم الكبير في تأليب الأحزاب في الخندق والذي شاركت فيه بعض تلك القبائل ^(١) القاطنة في تلك المنطقة بفعالية كبيرة. [غزوة مؤتة والسرايا والبعوث الشبالية لبريك ٤٨-٥٢].

قائد السرية:

يقول د/ بريك: «اختلف في هذه السرية، وقائدها على قولين:

ذكر أهل المغازي المتقدمين، كابن إسحاق، والواقدي، وابن سعد، وابن عائد هذه السرية، أنَّ قائدها زيد بن حارثة عليه السلام، وأنَّ سلمة بن الأكوع عليه السلام كان معهم في السرية، وأنَّه أصاب جارية جميلة من بني فِزارة، ذكر أهل المغازي أنَّها بنت أمِّ قرفة، وأنَّ رسول الله ﷺ استوهبها من سلمة، فوهبها له، فأهداها رسول الله ﷺ لحاله حزن بن أبي وهب.

[ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٦١٧، المغازي للواقدي ٢/ ٥٦٤-٥٦٥، الطبقات لابن سعد ٢/ ٩٠-٩١].

وأخرج أهل الحديث «مسلم، وأحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وابن أبي شيبة» عن سلمة بن الأكوع عليه السلام، قال: «غَزَوْنَا فِزَارَةَ وَعَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ عليه السلام أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا... فذكر الحديث». [مسلم في الجهاد والسير (١٧٥٥)، ومسند أحمد ٢٧/ ٢٧-٢٨ عن سلمة بن الأكوع عليه السلام رقم ١٦٥٠٢، وأبو داود في الجهاد (٢٦٩٧)، والنسائي في السنن الكبرى في السير (٨٦١٢)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٤٦)، جميعهم من حديث عكرمة ابن عمار، عن إياس بن سلمة، عن أبيه بن الأكوع. إلا أنَّ البعض اختصر الحديث. والله تعالى أعلم. وسياي نضمه مفرقًا على الأحداث].

(١) ذكرت الروايات التاريخية أنَّ من القبائل التي شاركت بقوة في غزوة الأحزاب: قبائل غطفان، وهي فِزارة، وبنو مرة، وأشجع، وغيرها. ينظر: الوفا بأخبار المصطفى ﷺ لابن الجوزي ٦٩٢. وهذه القبائل جميعها تسكن تلك المنطقة وتشارك بحلف قديم مع اليهود في خيبر وما حولها.

وذكر فيه قصة أسرهِ لامرأةٍ من بني فزارة، ومعها ابنة لها من أحسن العرب، وأنّ أبا بكر عليه السلام نفله إياها، وأنه قدّم بها المدينة، وأنّ رسول الله ﷺ سأله إياها فوهبها له، فبعثَ بها رسولُ الله ﷺ إلى أهل مكة ففدى بها ناسًا من المسلمين كانوا أسرى بمكة. [مما يجدر ذكره أنّ أهل المغازي لم يذكروا سريّة أبي بكر عليه السلام لبني فزارة، ما عدا ابن سعد (الطبقات ١١٨/٢) الذي عَنّون لها بـ (سريّة أبي بكر الصّدّيق عليه السلام إلى بني كلاب بنجد، ثمّ يسوق بسنده عن سلمة بن الأكوع عليه السلام حديثه عن سريّة أبي بكر عليه السلام إلى بني فزارة].

وحاول المتأخرون من أهل المغازي الجمع، أو ترجيح إحدى الروايتين على الأخرى، فقد نقل الحلبي، والزرقاني عن الشامي الجمع بين الروايتين حيث قال: «يُحتمل أنّهما سريتان، اتَّفَقَ لسلمة بن الأكوع عليه السلام فيهما ذلك، أي إحداهما لأبي بكر، والأخرى لزيد بن حارثة، ويؤيد ذلك أنّ في سريّة أبي بكر أنّ رسول الله ﷺ بعثَ بنت أمّ قرفة إلى مكة ففدى بها أسرى كانوا في أيدي المشركين، وفي سريّة زيد وهبها لخاله حزن بمكة. قال: ولم أر من تعرّض لتحرير ذلك».

[ينظر: سيرة الحلبي ١٨١/٣، شرح الزرقاني ١٦٤/٢].
وتعقّب الحلبي، والزرقاني، بأنّ في هذا الجمع نظرًا؛ لأنه يقتضي أنّ أمّ قرفة تعدّدت، وأنّ كلّ واحدة كانت لها بنت جميلة، وأنّ سلمة بن الأكوع أسرهما، وأنّه ﷺ أخذهما منه، وفي ذلك بُعد، إلّا أنّ يُقال: لا تعدّد لأمّ قرفة وتسمية المرأة في سريّة أبي بكر أمّ قرفة وهَمَّ من بعض الرواة، ويدل عليه أنّ بعضهم أوردوها ولم يسم المرأة أمّ قرفة، بل قال: فيهم امرأة من بني فزارة معها ابنة لها من أحسن العرب.
[سيرة الحلبي ١٨٢/٣]

وفيه توهم رواية الصحيح بلا حُجّة، فإنّ تسميتها فيه من زيادة الثقة، فما في الصحيح أصحّ كما قال السهيلي. [شرح الزرقاني ١٦٤/٢].

قلت: رجّح السهيلي ما ورد في روايات أهل الحديث حول الجارية التي استوهبها رسول الله ﷺ من سلمة ففدى بها أسيرين من المسلمين كانوا بمكة على روايات أهل المغازي، ومنهم ابن إسحاق، الذين ذكروا أنّه ﷺ وهبها لخاله حزن بمكة. [الروض الأنف للسهيلي ٥٢٨/٧].

ووافقه الزرقاني على ذلك مُعَمِّمًا هذا الحكم على باقي الرواة وبخاصّة كون القائد أبا بكر الصّدّيق عليه السلام، وليس زيد بن حارثة عليه السلام، كما ذكرت روايات أهل المغازي. [شرح الزرقاني ١٦٤/٢].

وقد جمع ابن حجر بين ما ذكره أهل المغازي حول قيادة زيد بن حارثة عليه السلام للسريّة، وما ذكره مسلم من رواية سلمة عليه السلام، وكأنّه - أي ابن حجر - معتبرٌ إياها قصّة واحدة.

[قال ابن حجر (فتح ٤٩٨-٤٩٩)، باب غزوة زيد بن حارثة عليه السلام) بعد أن ذكر حديث سلمة بن الأكوع عليه السلام: وغزوت مع زيد بن حارثة سبع غزوات يؤمره علينا - وقد تنبعت ما ذكره أهل المغازي من سرايا زيد بن حارثة فبلغت سبعًا. كما قاله سلمة، وإن كان بعضهم ذكر ما لم يذكره آخرون... ثمّ ساق أساء تلك السرايا إلى أن قال: والسابعة إلى ناس من بني فزارة... ثمّ قال: ولعلّ هذه الأخيرة مراد المُصنّف، وقد ذكر مسلم طرقًا منها من حديث سلمة بن الأكوع عليه السلام].

ولو أمعنا النَّظْرَ في الروایتين: رواية أهل المغازي، ورواية أهل الحديث، لأمكن استنباط قرائن قوية تدل على اتِّحاد القصة، وأنَّ أحداثها تدور حول سرية واحدة، فمن ذلك مثلاً:

- ١- أنَّ كلتا الروایتين تشير إلى أنَّ السرية كانت موجهة لبني فزارة.
- ٢- أشارت روايات أهل الحديث أنَّ قائد السرية صَبَحَ القومَ ثُمَّ أمر بشن الغارة عليهم دون سابق إنذار. [وقد جعل البيهقي هذا الحديث تحت باب جواز ترك دعاء مَنْ بلغته الدعوة. (السنن ٩/ ١٠٧)].
- ووقع مثل ذلك في روايات أهل المغازي. [وقع ذلك في رواية الواقدي، وابن سعد، والسبب أنها ذكرا تفاصيل لم تذكرها الروايات الأخرى].

مِمَّا يدل على أنَّ هدف السريتين كان هو المباغطة لتأديب أولئك الأعراب، والمباغطة لا تكون إلا لقوم قد بلغتهم الدعوة فأصروا واستكبروا، وبدت منهم العداوة للمسلمين، وتبليغ الدعوة يكون إمَّا بكتاب يبعثه رسول الله ﷺ، أو بعثة دعوية، أو سرية سابقة كما حدث بالنسبة إلى بني فزارة، حيث أرسل إليهم زيد بن حارثة رضي الله عنه في سرية، فقاتلوه وأصابوا أصحابه، فكانت المباغطة في السرية الثانية لأجل تأديبهم لما كان منهم في السرية الأولى، والله تعالى أعلم.

٣- ذُكِرَ المرأة الفزارية وابتنها الجميلة اللتان أصابها سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، ولو سمَّتهما المصادر الحديثية كما فعلت المصادر التاريخية، لحَسِمَ النزاع مبكراً.

وإن كان بعض أهل المغازي المتأخرين قد ذكر ورود التسمية في بعض روايات الصحيح. [ينظر ما ذكره الحلبي (سيرة ٣/ ١٨٢)، والزرقاني (شرح ٢/ ١٦٤)].

ولكن رواية مسلم التي بين أيدينا لم تُسَمَّ المرأة، وكذلك روايات أهل الحديث الأخرى. كلُّ هذه القرائن تقوي الاعتقاد أنَّها سرية واحدة أُرسِلَتْ إلى بني فزارة، ولكن هذه المرة بقيادة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كما ذكرت روايات أهل الحديث، ويمكن توهيم روايات أهل المغازي التي ذكرت أنَّ القائد كان زيد بن حارثة رضي الله عنه، فتوهيم روايات أهل المغازي أخف وطأة وأقل تبعية من توهيم روايات أهل الحديث بما فيها رواية الصحيح؛ لأنَّ روايات أهل المغازي على تخصُّصها فإنَّها جميعاً قد وردت من طرق لا تخلو من مقال، وليس فيها رواية واحدة يمكن أن ترتقي إلى رواية الصحيح أو غيرها من الروايات الحديثية. وربما وقع الوهم عند أهل المغازي بسبب ما ورد عندهم من خروج زيد بن حارثة رضي الله عنه في السريتين، وبما أنه كان قائداً للسرية الأولى، ثُمَّ نذره بعد ذلك بسبب ما وقع له ولأصحابه من بني فزارة بغزوهم مرة ثانية، فجعلوه قائداً للسرية الثانية، ربما يكون قد خرج معهم ولم يكن قائداً، بل أنيطت القيادة هذه المرة بالصديق أبي بكر رضي الله عنه، لكون زيد رضي الله عنه قد أُصِيبَ في المرة الأولى، فأراد النبي ﷺ إراحته وإسناد القيادة لأبي بكر رضي الله عنه، وسمح لزيد بالخروج وفاءً لنذره، فشارك بفعالية بأحداث السرية، فتوهيم أهل المغازي، وذكروا أنه قائد للسرية، ولكن ما في الصحيح أصح، والله تعالى أعلم. [غزوة مؤتة لبريك ٥٣-٥٨].

ويقول أ/ باشميل: «اختلف المؤرخون في القائد الذي أسندت إليه قيادة هذه الحملة الكبيرة، فابن سعد يذكر في طبقاته الكبرى أن قيادة هذه الحملة أعطيت لزيد بن حارثة رضي الله عنه، بينما يذكر الإمام مسلم في صحيحه عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: أن قائد هذه الحملة هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وعلى كل، فإن الروایتين ليس بينهما اختلاف في التفاصيل، ونحن نرجح رواية الإمام مسلم لأنه وصحيح البخاري أصح الكتب وأصدقها بعد كتاب الله تعالى. [صلح الحديبية لباشميل ٦٣].

سير الأحداث:

يقول د/ بريك: «في شهر رجب من السنة السادسة من الهجرة النبوية المباركة، كما يذكر ابن سعد [الطبقات ٨٩/٢]، وصلت إلى النبي ﷺ معلومات هامة عن تحركات مُعادية تقوم بها امرأة من بني فزارة، ذات شأن فيهم، ومنزلة ورياسة يقال لها أم قرفة^(١)، يذكر الزهري عن عروة أنها: «قد جهّزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد ولدها، قالت: اقدموا المدينة فاقتلوا محمداً! فقال النبي ﷺ: «اللهم اكلها بولدها»، وبعث إليهم زيد بن حارثة رضي الله عنه، على رأس سرية، لم تذكر الروايات قوتها، ولكنها كانت على ما يبدو قليلة العدد.

«فالتقوا بالوادي (يعني: وادي القرى)، وقُتل أصحاب زيد رضي الله عنه منهم:

«وَرْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ مُرْدَاسٍ رضي الله عنه (أحد بني سعد بن هذيم، كتب له النبي ﷺ في عسيب فعدا على العسيب فكسره، ثم إنه أسلم بعد ذلك، وغزا مع زيد بن حارثة رضي الله عنه وادي القرى فاستشهد. طبقات ابن سعد ٢٨٤/١، الإصابة ٨١/٢)، وارتث (بالبناء للمجهول، أي حمل من المعركة رثيلاً أي جريحاً وبه رمق) زيد بن حارثة من بين وسط القتلى». [ذكره ابن سيد الناس (عيون ١٤٢/٢) من حديث ابن عائذ بسنده عن عروة، وهو مرسل].

«فلما قُتل زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى [نذر] ألا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة، فلما استبَلَّ من جراحته بعثه رسول الله ﷺ إلى بني فزارة في جيش، فيهم سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، ويقودهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقال لهم ﷺ: «أَكْمُوا النَّهَارَ وَسِيرُوا اللَّيْلَ»، فخرج بهم دليل لهم. [مغازي ٥٦٤/٢]. يقول أ/ باشميل: «تحرك القائد الصديق رضي الله عنه من المدينة على رأس قوة كبيرة من المهاجرين والأنصار، وكان تحركه في شهر رمضان من السنة السادسة للهجرة على ما حققه ابن حزم والسابعة على ما ذكره غيره من المؤرخين». [صلح الحديبية لباشميل ٦٢-٦٣].

(١) بكسر القاف، وسكون الراء وبالفاء، فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية، التي جرى فيها المثل: «أمنع من أم قرفة» لأنه كان يُعلّق في بيتها خمسون سيفاً وخمسين فارساً كلهم لها ذو محرم، كُتبت بابنها قرفة، قتله النبي ﷺ فيما ذكر الواقدي، وذكر أن سائر بنينا وهم تسعة قُتلوا مع طليحة يوم بزاخة. الروض الأنف ٥٢٨/٧، شرح المواهب ١٦٣/٢، مجمع الأمثال ٣٩٢/٢.

قال سلمة رضي الله عنه: «فَلَمَّا دَتَوْنَا مِنَ السَّمَاءِ (الحاضر الذي كانت تقيم عليه بنو بدر من فزارة، ربما كان في وادي القرى) أَمَرَنَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَعَرَّسَنَا (التعريس: النزول آخر الليل للراحة)، قَالَ: فَلَمَّا صَلَبْنَا الصُّبْحَ، أَمَرَنَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَشَنَّا الْغَارَةَ (شن الغارة: أي فَرَّقَهَا عليهم من كُلِّ جانب)، فَقَتَلْنَا عَلَى الْمَاءِ مَنْ قَتَلْنَا، فَكَانَ شِعَارُنَا: أَمِتْ أَمِتْ، قَالَ: فَقَتَلْتُ بِيَدِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ سَبْعَةَ أَهْلِ آيَاتٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ». [أخرجه أبو داود. (انظر: عون المعبود، حديث رقم: ٢٦٢١)، وابن سعد، (الطبقات ١١٨/٢)، واللفظ له، والنسائي (السنن الكبرى ٥/٢٧١)، وابن ماجه (السنن، حديث رقم: ٢٨٤)، وأحمد (المسند، حديث رقم: ١٦٥١٦)، كلهم من حديث عكرمة بن عمار، نحوه].

«وَأَنْظُرْ إِلَى عُنْتِي (العنق: الجماعة) مِنَ النَّاسِ فِيهِمُ الدَّرَارِيُّ، فَخَشِيتُ أَنْ يَسْبِقُونِي إِلَى الْجَبَلِ، فَرَمَيْتُ بِهِمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَبَلِ، فَلَمَّا رَأَوْا السَّهْمَ وَقَفُوا، فَجِئْتُ بِهِمْ أَسُوقَهُمْ، وَفِيهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي فِزَارَةَ عَلَيْهَا قِشْعٌ مِنْ أَدَمٍ (جمع أديم وهو الجلد المدبوغ) - قَالَ: الْقِشْعُ (الفرو القديم البالي): النُّطْعُ (البساط من الجلد) - مَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا مِنْ أَحْسَنِ الْعَرَبِ، فَسَقَطْتُهُمْ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِمْ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه فَتَقَلَّنِي (أي أعطاني زيادة على السهم) أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه ابْتِغَاءً.

ويجزم أهل المغازي أَنَّ تلك المرأة هي أم قرفة. [ينظر: السيرة لابن هشام ٤/٦١٧، المغازي للواقدي ٢/٥٦٥، الطبقات لابن سعد ٢/٩١، دلائل النبوة لأبي نعيم ٢/٥٣٥، السيرة للحلي ٣/١٨٠، شرح المواهب للزرقاني ٢/١٦٤].

وَأَمَّا قَتَلْتُ، وَقَتِلَ بعض ولدها.

[ينظر: رواية الزهري عن عروة عند أبي نعيم: دلائل ٢/٥٣٥، والسهيلي: الروض ٧/٥٢٨].

وذكرت بعض الروايات أَنَّهَا قَتَلَتْ قَتْلًا عَنِيفًا.

[المصادر السابقة، وذكر السهيلي، وابن سيد الناس نقلًا عن الدولابي أَنَّهَا قَتَلَتْ كَذَلِكَ لِسَبِّهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ].

«وَأَنَّهُ بَعَثَ بِرَأْسِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَرَ بِهِ فَدِيرَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ لِيُعْلَمَ قَتْلُهَا».

[ذكر ذلك المقرئ (إمتاع ١/٢٧٠)، وهي زيادة منكرة تُفَرِّدُهَا، ولا أدري من أين جاء بها].

وهذه الروايات إسنادها ضعيف، وتعارضها الأحاديث الصحيحة التي تأمر بإحسان القتل، وتنتهي عن المثلَّة، كما أنه لم يثبت أنه حُمِلَ رَأْسُ أَحَدٍ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

يقول: د/ رزق الله: «ورواية أهل الحديث هي المقبولة لأنها تتمشى في متنها مع وصايا رسول الله ﷺ في عدم قتل النساء، هذا إلى جانب صحتها من ناحية السند.

أما رواية أهل المغازي، فهي مضطربة من ناحية المتن، ومخالفة لأمر النبي ﷺ في النهي عن قتل الأسرى من النساء، وعدم التمثيل بالقتلى، وضعيفة من ناحية السند، فلا يحتج بها».

[السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية لرزق الله ٤٧٦، وقال في الهامش: ينظر: سيرة زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى بني فزارة دراسة نقدية للروايات التاريخية - د/ عبد العزيز الحلابي - مجلة كلية الآداب - جامعة الملك سعود سنة ١٩٨٦ م - م ١٣ ص ٦١-٨٢]. [غزوة مؤتة والسررايا والبعوث الشمالية لبريك ٦٢-٦٥].

وَقَتَلَ قَيْسُ بْنُ الْمَسْحَرِ الْيَعْمَرِيُّ مَسْعَدَةَ بْنَ حَكَمَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حُلَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ.

[السيرة النبوية لابن هشام ٦١٧/٢].

سَيِّئَةُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه:

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: غَزَوْنَا فَزَارَةَ، وَعَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا، فَلَمَّا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَاءِ سَاعَةً أَمَرَنَا أَبُو بَكْرٍ فَعَرَسْنَا، ثُمَّ شَنَّ الْغَارَةَ فَوَرَدَ الْمَاءَ فَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ عَلَيْهِ وَسَيِّ، وَأَنْظَرُ إِلَى عُنُقِ مَنْ النَّاسِ فِيهِمْ الذَّرَارِيُّ، فَخَشِيتُ أَنْ يَسْقُونِي إِلَى الْجَبَلِ، فَرَمَيْتُ بِسَهْمٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَبَلِ، فَلَمَّا رَأَوْا السَّهْمَ وَقَفُوا، فَجِئْتُ بِهِمْ أَسْوَقَهُمْ، وَفِيهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ عَلَيْهَا قَشْعٌ مِنْ أَدَمٍ - قَالَ: الْقَشْعُ: النَّطْعُ - مَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا مِنْ أَحْسَنِ الْعَرَبِ، فَسَقَتُهُمْ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِمْ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه فَتَغَلَّنِي أَبُو بَكْرٍ ابْتِهَا، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا (كناية عن عمل الجماع)، فَلَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي السُّوقِ فَقَالَ: «يَا سَلَمَةُ هَبْ لِي الْمَرْأَةَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْجَبَنِي، وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، ثُمَّ لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْعَدِ فِي السُّوقِ، فَقَالَ لِي: «يَا سَلَمَةُ هَبْ لِي الْمَرْأَةَ اللَّهُ أَبُوكَ» (قال أبو البقاء: هو في حكم القسم)، فَقُلْتُ: هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَوَاللَّهِ مَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، فَبَعَثَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَقَدَى بِهَا نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا أَسْرًا بِمَكَّةَ. [مسلم في الجهاد والسير (١٧٥٥)].

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ رضي الله عنه، وَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا، قَالَ: غَزَوْنَا فَزَارَةَ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْمَاءِ أَمَرَنَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَعَرَسْنَا، قَالَ: فَلَمَّا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ أَمَرَنَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَشَنَّا الْغَارَةَ، [فَوَرَدْنَا الْمَاءَ فَقَتَلَ أَبُو بَكْرٍ مَنْ قَتَلَ وَحْنُ مَعَهُ] فَقَتَلْنَا عَلَى الْمَاءِ مَنْ قَتَلْنَا، قَالَ سَلَمَةُ رضي الله عنه: ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى عُنُقِ [فَرَأَيْتُ عُنُقًا] مِنَ النَّاسِ، فِيهِ [فِيهِمْ] الذَّرَارِيُّ [الذَّرَارِيُّ] وَالنِّسَاءُ نَحْوَ الْجَبَلِ، وَأَنَا أَعْدُو فِي أَثَارِهِمْ، فَخَشِيتُ أَنْ يَسْقُونِي إِلَى الْجَبَلِ [فَأَذَرْتُهُمْ]، فَرَمَيْتُ بِسَهْمٍ فَوْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَبَلِ [فَقَامُوا] [فَلَمَّا رَأَوْا السَّهْمَ]، قَالَ: فَجِئْتُ بِهِمْ أَسْوَقَهُمْ [أَسْوَقَهُمْ] إِلَى أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه حَتَّى أَتَيْتُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَفِيهِمْ [فَإِذَا] امْرَأَةٌ مِنْ فَزَارَةَ، عَلَيْهَا قَشْعٌ مِنْ أَدَمٍ، وَمَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا مِنْ أَحْسَنِ الْعَرَبِ، قَالَ: فَتَغَلَّنِي أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه ابْتِهَا، قَالَ: فَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا حَتَّى قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، ثُمَّ بَتَّ [بَاتَتْ عِنْدِي] فَلَمْ أَكْشِفْ لَهَا ثَوْبًا، قَالَ: فَلَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي السُّوقِ فَقَالَ لِي: «يَا سَلَمَةُ هَبْ لِي الْمَرْأَةَ»، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْجَبَنِي، وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَرَكَنِي، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْعَدِ لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي السُّوقِ، فَقَالَ: «يَا سَلَمَةُ هَبْ لِي الْمَرْأَةَ اللَّهُ أَبُوكَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَعْجَبَنِي مَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، وَهِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَبَعَثَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، وَفِي أَيْدِيهِمْ أَسَارَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلَيْكِ الْمَرْأَةِ. [مسند أحمد ٢٧/ ٢٧ - ٢٨، ٦٥ - ٦٦ رقم ١٦٥٠٢، ١٦٥٣٧، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وأبو داود في الجهاد (٢٦٩٧)، وقال الشيخ الألباني: حسن].

وَعَنْ إِيَّاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ غَزَا مَعَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، قَالَ: فَبَيْنَمَا الْمُسْرِكِينَ، وَكَانَ شِعَارُنَا: أُمْتُ أُمْتُ، قَالَ: فَقَتَلْتُ سَبْعَةَ أَبْيَاتٍ بِيَدِي، فَتَغَلَّنِي أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه امْرَأَةً مِنْ بَنِي فَزَارَةَ مِنْ

أَحْسَنَ الْعَرَبِ، فَقَدِمْتُ بِهَا، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَبْ لِي الْمَرْأَةَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْجَبْتَنِي، وَمَا كَشَفْتُ لَهَا عَنْ ثَوْبٍ، ثُمَّ لَقِيتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي السُّوقِ، فَقَالَ: «يَا سَلَمَةُ هَبْ لِي الْمَرْأَةَ لَكَ أَبُوكَ»، قُلْتُ: هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَهَا فَبَعَثَ بِهَا إِلَى مَكَّةَ، فَفَادَى بِهَا أُسْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كَانُوا فِي أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَتْ لَهَا أُمٌّ عِنْدَهُمْ. [السنن الكبرى للنسائي في السير (٨٦١٢)].

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه زَمَنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَ شِعَارُنَا: أَمْتُ أُمْتُ. [أبو داود في الجهاد (٢٥٩٦)، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح].

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: بَيَّتْنَا هَوَازَنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، وَكَانَ أَمْرُهُ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ. [مسند أحمد ٢٧/٢٣ رقم ١٦٤٩٧، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم].

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه هَوَازَنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَاتَيْنَا مَاءَ لَبْنِي فِزَارَةَ فَعَرَسْنَا حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ سَنَّاها عَلَيْهِمْ غَارَةً، فَاتَيْنَا أَهْلَ مَاءٍ فَيَسْتَنَّاهُمْ، فَفَقَتَلْنَاهُمْ تِسْعَةً أَوْ سَبْعَةً أَبْيَاتٍ. [ابن ماجه في الجهاد (٢٨٤٠)، قال الشيخ الألباني: حسن].

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه، فَغَزَوْنَا نَاسًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَيَسْتَنَّاهُمْ نَقْتُلُهُمْ، وَكَانَ شِعَارُنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ: أَمْتُ أُمْتُ.

قَالَ سَلَمَةُ رضي الله عنه: «فَقَتَلْتُ بِيَدِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ سَبْعَةَ أَهْلِ أَبْيَاتٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

[أبو داود في الجهاد (٢٦٣٨)، وقال الشيخ الألباني: حسن].

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه هَوَازَنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَفَقَتَلْنِي جَارِيَةٌ مِنْ بَنِي فِزَارَةَ مِنْ أَجْلِ الْعَرَبِ، عَلَيْهَا قِشْعٌ لَهَا، فَمَا كَشَفْتُ لَهَا عَنْ ثَوْبٍ حَتَّى أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ، فَلَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي السُّوقِ، فَقَالَ: «اللَّهُ أَبُوكَ هَبْهَا لِي»، فَوَهَبْتُهَا لَهُ، فَبَعَثَ بِهَا فَفَادَى بِهَا أُسْرَى مِنَ أُسْرَى الْمُسْلِمِينَ كَانُوا بِمَكَّةَ. [ابن ماجه في الجهاد (٢٨٤٦)، وقال الشيخ الألباني: حسن].

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه فِي غَزَاةِ هَوَازَنَ، فَفَقَتَلْنِي جَارِيَةٌ فَاسْتَوْهَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى مَكَّةَ فَفَدَى بِهَا أَنْاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

[مسند أحمد ٢٧/٣٣ رقم ١٦٥٠٥، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح].

وقال الواقدي: وَأَقْبَلَ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه بِالْجَارِيَةِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ لَهُ جَاهَهَا، فَقَالَ: «يَا سَلَمَةُ مَا جَارِيَةُ أَصْبَتْهَا؟»، قَالَ: جَارِيَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجَوْتُ أَنْ أَقْتَدِيَ بِهَا أَمْرًا مِنَّا مِنْ بَنِي فِزَارَةَ، فَأَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا يَسْأَلُهُ: «مَا جَارِيَةُ أَصْبَتْهَا؟»، حَتَّى عَرَفَ سَلَمَةُ أَنَّهُ يُرِيدُهَا، فَوَهَبَهَا لَهُ، فَوَهَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَزْنِ بْنِ أَبِي وَهَبٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ أَمْرًا لَيْسَ لَهُ مِنْهَا وَلَدٌ غَيْرُهَا.

[المغازي للواقدي ٥٦٥/٢].

استقبال الرسول ﷺ لزيد بن حارثة رضي الله عنه:

ويذكر عروة أن زيد بن حارثة رضي الله عنه لما قدم المدينة مع أهل السرية أقبل إلى رسول الله ﷺ «قال الواقدي: فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: وَقَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه مِنْ وَجْهِهِ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي، فَأَتَى زَيْدٌ فَفَرَعَ الْبَابَ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْرُ ثَوْبُهُ عُرْيَانًا، مَا رَأَيْتُهُ عُرْيَانًا قَبْلَهَا، حَتَّى اعْتَنَفَهُ وَقَبَّلَهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ بِمَا ظَفَرَهُ اللَّهُ». [مغازي الواقدي ٥٦٥/٢].

تجاح الحملة:

يقول أبو باشميل: «وقد حققت حملة الصّديق رضي الله عنه العسكرية التأديبية أهدافها، فقد بث الله الرعب في نفس بني بدر (من فزارة).

إذ لم يكادوا يشعرون بوصول أبي بكر الصّديق رضي الله عنه برجاله حتى عمهم الذعر والخوف فلم يبدوا أية مقاومة، بل أخذوا في الفرار أشتاتًا.

إلا أن المسلمين حالوا بينهم وبين ذلك فقتلوا عددًا منهم وأسروا عددًا آخر بمن فيهم (أم قرفة) فاطمة بنت ربيعة بن بدر وابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر.. وهي من أجل بنات العرب.

أما (أم قرفة) فكانت امرأة شيطانة، وكانت (برزة مسترجلة) وفي شرف من قومها تحتل بينهم مكان القائد والزعيم.

وكان يُعلّق في بيتها خمسون سيفًا كل هذه السيوف لها محرّم، وكان لها اثنا عشر ولدًا كلهم يحمل السلاح.

ومن ثم كانت العرب: تضرب بها المثل في العزة، فتقول: لو كنت أعز من أم قرفة.

أم قرفة تحاول اغتيال النبي ﷺ:

وقد كانت هذه الشيطانة (أم قرفة) على أشد ما تكون من البغض للنبي ﷺ، لذا صممت على اغتياله داخل المدينة.

فجهزت ثلاثين فارسًا من ولدها وولد ولدها وأمرتهم بالذهاب إلى المدينة لكي يقوموا باغتيال الرسول ﷺ إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك. [ينظر: السيرة الحلبية ٣٠٣/٢].

ويظهر أن (أم قرفة) هذه كانت القائد الفعلي لقومها من بني بدر، يدل على ذلك أن بعض المؤرخين أسمى هذه الحملة التي أسرت فيها قرفة وابنتها (بسرية أم قرفة).

[ينظر: طبقات ابن سعد ٩٠/٢، ومغازي الواقدي ٥٦٥/٢].

أما كيف حققت الحملة أهدافها فقد ذكر المؤرخون أن رجال الحملة المسلمين شنوا الغارة على بني بدر في عماية الصبح، بعد أن فرغوا من أداء فريضة الصلاة، كما سبق بيانه في رواية مسلم.

[صلح الحديبية لباشميل ٦٣-٦٤].

شِعْرُ ابْنِ الْمُسَحَّرِ عليه السلام فِي قَتْلِ مَسْعَدَةَ:

قَالَ قَيْسُ بْنُ الْمُسَحَّرِ عليه السلام فِي قَتْلِ مَسْعَدَةَ:

وَأَنِّي بِوَرْدٍ فِي الْحَيَاةِ لثَائِرٌ ^(١)	سَعَيْتُ بِوَرْدٍ مِثْلَ سَعْيِ ابْنِ أُمِّهِ
عَلَى بَطْلٍ مِنْ آلِ بَدْرِ مُغَاوِرٌ ^(٢)	كَرَرْتُ عَلَيْهِ الْمُهْرَ لَمَّا رَأَيْتُهُ
شَهَابٌ بِمَعْرَاةٍ يُذَكِّي لَنَاظِرٍ ^(٣)	فَرَكِبْتُ فِيهِ قَعْصِيًّا كَأَنَّهُ

مصادر ومراجع للدراسة:

١ - كتب السنة: جامع الأصول لابن الأثير (٦٠٦هـ) ٨/ ٢٦٤-٢٦٥، الأساس في السنة لحوى (١٤٠٩هـ) ٢/ ٧٢١+٧٢٣+٧٤٧.

ب - كتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي: مرويّات الزهري (١٢٤هـ) في المغازي للعواجي ١/ ٥٤١-٥٤٢، السيرة النبوية لابن إسحاق (١٥٢هـ) بهذيب ابن هشام (٢١٨هـ) ٢/ ٦١٧-٦١٨، المغازي للواقدي (٢٠٧هـ) ٢/ ٥٦٤، الطبقات لابن سعد (٢٣٠هـ) ٢/ ٨٥+٨٦، دلائل النبوة للبيهقي (٤٥٨هـ) ٤/ ٢٩٠-٢٩١، الاكتفاء للكلاعي (٦٣٤هـ) ٢/ ٤١٦-٤١٧، تاريخ الإسلام للذهبي (٧٤٨هـ) ١/ ٣٥٥، زاد المعاد لابن القيم (٧٥١هـ) ٣/ ٣٥٩، إمتاع الأسباع للمقريزي (٨٤٥هـ) ١/ ٢٧٠-٢٧١، سبل الهدى والرشاد للصالح (٩٤٢هـ) ٦/ ١٤٦-١٤٧ + ١٤٨ + ١٥٧ - ١٦١.

ج - كتب السيرة الحديثة: صحيح السيرة النبوية للعلي (٣٦٦)، السيرة النبوية لرزق الله (٤٧٣ + ٤٧٤ - ٤٧٦).

د - كتب الغزوات والسرائي: صالح الحديبية لباشميل ٥٥ + ٦١-٦٦، السرايا الحربية في العهد النبوي لطنطاوي ٩٥، فقه السرايا للعيساوي ١٤١ + ١٥٠ + ١٦٧ - ١٦٨ + ١٩١ - ١٩٥، غزوة مؤتة والسرائي والبعوث الشبالية لبريك ٤٤ - ٧٠.

(١) نائر: أخذ بثأره.

(٢) المغاور: الكثير الإغراء.

(٣) قعصياً: سناناً منسوباً إلى قضعب، رجل كان يصنع الأسنة. المعرأة: الموضع الذي لا يستره شيء. يذكي: يشعل.

أطلس السيرة لأبي خليل ص ١٥٣.
وينظر خرائط سرية محمد بن مسلمة عليه السلام إلى نجد.